

وجهة نظر في قبول سارتر للدكتوراه الاسرائيلية

بني اريد ان ارفع صوتي بالدعوة الى التريب في مقاطعه سارتر ، اذ نحن لن نحسب شيئا وسن يحسر سارتر سيبا من هذه المسامحة . ولن يكسب منها الا اسرائيل التي سنجدها فرصة لتسديد بالعرب الذين يحرفون الحسب ويقاطعون الافكار ، وفوق هذه الدعوة الى التريب والتريب ارجو ان اوضح للرأي العام الثقافي في بلادنا بجانب الآخر الذي ربما كان غير واضح من واقعه قبول سارتر للدكتوراه الاسرائيلية ، وارجو في اسمايه ان يجد اعراء العرب في هذا الجانب الآخر - كما اجد - دليلا على موقف ايجابي جديد لسارتر من القضية الفلسطينية ، ان لم يكن من العوه بحيث يوجب علينا تحيته ، وليس اقل من ان يسعنا بخطأ مقاطعته .

وانا ابدأ فاستنكر انا ايضا قبول سارتر للدكتوراه الاسرائيلية كما استنكرت قبل ذلك مواقفه السابقة في نايسد اسرائيل .

ولست اشك في ان اهداء الدكتوراه الفخرية لسارتر عمل خططت له اجهزة الدعاية الاسرائيلية للتغطية على انباء المذابح الفلسطينية اللبنانية ، هذه المذابح التي هي احدى النتائج المنطقية لاغتصاب فلسطين وتشريد الفلسطينيين من ناحية ولتأمر اسرائيليين وامريكيين والرجعيين العرب من ناحية اخرى .

ولست اشك كذلك ان اجهزة الدعاية الاسرائيلية ارادت فيما ارادت ان يفتي بآ قبول سارتر للجائزة في السابع من نوفمبر الماضي على اصوات عشرات من المثقفين الاوروبيين والعرب الذين كانوا يستعدون لافتتاح ندوتهم ضد الصهيونية في بغداد في اليوم التالي ، الثامن من نوفمبر .

وباختصار . قبول سارتر للدكتوراه الاسرائيلية

يعلم الاعراء العرب ان المفكر الفرنسي جان بول سارتر قد سبق في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) الماضي درجة الدكتوراه الفخرية في الفلسفة من الجامعة العبرية بأغرس . وقد ساهدا هنا في باريس مع مناهدي التيفزيون الفرنسي صورته من الاحتفال الذي اقيم بهذه المناسبة في السفارة الاسرائيلية بباريس في اسابع من الشهر الماضي ، واستمعنا للكلمة التي القاها سارتر بعد ان سلمه السفير الاسرائيلي « جازيت » الدرجة الممنوحة له بحضور عدد من المثقفين الفرنسيين على راسهم اكانيه سيمون دوبوفوار . والسيدة فرانسواز جيرو وزير الثقافة الفرنسية .

ولست اشك في ان الرأي العام الثقافي في بلادنا قد استنكر قبول سارتر لهذه الجائزة الاسرائيلية واذاف ذلك الى سلسلة مواقف سارتر في تأييد اسرائيل . وقد قرأت بضعة مقالات وتعقيبات في الصحف العربية تدين كلها سارتر ، بل ان هناك من الفرنسيين من استنكروا كذلك قبول سارتر للدكتوراه الاسرائيلية ، وقد سمعنا عن البيان الذي اصدرته في هذا الشأن مجموعة من المثقفين والصحفيين الفرنسيين الذين حضروا في الشهر الماضي ندوة بغداد حول « الصهيونية كحركة عنصرية » حيث ادانوا سارتر وعدوا عمله تزكية للعنصرية الصهيونية والاحتلال الاسرائيلي للبلاد العربية ، وهم في هذا - هؤلاء المثقفون الفرنسيون - يمثلون جانبا من الرأي العام الفرنسي والاوروبي يزداد يوما بعد يوم تفهما للقضية العربية وتعاطفا مع العرب . ومن المتوقع ان ترتفع بعض الاصوات العربية بالدعوة الى مقاطعة سارتر وكتبه ، فليس من المنطق ان يكون بعض الفرنسيين احرص على فلسطين من العرب انفسهم !

ضد النزعة التلاسامية اكثر مما يتخذ موقفا مع الحركة الصهيونية .

واذا كانت المنظمات اليهودية والمثقفون اليهود قد افاموا الدنيا واقعدوها بسبب الاضطهادات التي تعرض لها اليهود في أوروبا الرجعية والفاشية حتى هزوا كل ضمير حر في العالم ، فقد فشل العرب للأسف الشديد زمنا طويلا في ان يقدموا قضيتهم العادنة للعالم الذي عرفها من خلال ايشع الصيغ والنداءات المتخلفة التي كان المندوبيون الرجعيون العرب يرصعون بها خطبهم ليكسبوا بها التصفيق والسلطة في بلادهم دون التفات جدي للرأي العام في الخارج . ولهذا كان المثقف الاوروبي يناصر اسرائيل المعتدية بضمير مرتاح . ويظن ان مناصرته لها هي استمرار واحياء للتراث التضالي الديموقراطي المقدس ضد الفاشية والنازية . فالمعادلة لم تكن اسرائيل ضد جماهير عربية . وانما كانت جماهير يهودية ضد نظم عربية رجعية متخلفة .

ولقد كن سارتر واحدا من هؤلاء المثقفين الذين اندفعوا في تأييد اسرائيل بهذا التصور السهل . لقد زار سارتر اسرائيل وكال لها المديح ، ولم يترك سارتر مظاهره في تأييد اسرائيل الا وشارك فيها ، ولم يفته بيان في الدفاع عنها لم يكن فيه على رأس الموقعين . ولقد اثار سارتر في العام الماضي ضجة كبرى في اسرائيل ضد منظمته اليونسكو عندما حرمت اسرائيل من المشاركة في نشاطها بسبب اعتداءاتها المتكررة على الوجود العربي في الاراضي المحتلة (١٤)

وها هو سارتر الذي سبق له ان رفض كل الجوائز التي اهديت له بما فيها جائزه نوبل واتهم الهيئة التي تمنحها بالخضوع للنفوذ الامريكي ، يقبل الدكتوراه الفخرية من اسرائيل التي تم مد طبيعتها العنصريه العدوانية سرا من الاسرار ، وهو يتقى هذه الجائزة المشبوهة من السفير الاسرائيلي في باريس ، وكان واحدا من المسؤولين في اجهزه الامن الاسرائيلية قبل ان يحتل منصبه الاخير ، فهو من الذين يمارسون اضطهاد البشر بأيديهم وليس مجرد خاضع للنفوذ الامبريالي كما هي الحال في اعضاء لجنة التحكيم لجائزة نوبل .

ولا شك ان سارتر في كل هذا واقع في خطيئة كبرى لن يغفرها له تاريخ الفكر ، فسارتر مفكر كبير ، وليس كاتباً طائشاً تمكن خديعته ، او صحفياً مأجوراً تمكن رشوته . لكن هذه الخطيئة التاريخية ليست هي موضوعنا ، اذ هي موضوع قديم معروف ، ونحن لا نبحث الان كيف سقط سارتر في هذه الخطيئة ، وانما نبحث في قدرته على تجاوزها ومدى اقترابه من فهم القضية العربية في مرحلته الاخيرة ، فسارتر في الحقيقة لبس

(١٤) كتبت بهذه المناسبة مقالة عنيفة ضد سارتر بعنوان « سارتر يسقط في باريس » ونشرتها في مجلة « الف باء » العراقية .

ليس هو مسأله اخلاف بيني وبين الذين استنكروا موقعه ودعوا الى مقاطعته ، وانما الخلاف بيني وبينهم في اهم اسم يروا من هذه اواقعه الا جانب التأييد لاسرائيل وسم يكلفوا انفسهم رؤية الجانب الاخر في ذات الواقعة الذي يبدو فيه سارتر مدافعا عن الشعب الفلسطيني . وذلك في الكلمة التي اذاعها في حفلة نسليمه الدكتوراه في سفارة الاسرائيلية . حيث قدم سارتر لأول مرة في حياته الصحافة بتأييد اسرائيل دون قيد او شرط - قدم تأييدا مشروطا وذلك حين اعلن انه قلق على مصير الشعب الفلسطيني ، وانه نصير للفلسطينيين بقدر ما هو نصير للاسرائيليين !

واني اقل لكم الحقيقة بكل دقة حين اذكر لكم ان كلمة سارتر قد اربكت السفير الاسرائيلي بقدر ما ادهست مشاهدي التلفزيون الذين لم يتوقعوا ان يتحدث سارتر عن الفلسطينيين بهذه المناسبة وبهذه اللهجة . وهذا ما جعل احد المذيعين ينتهز الفرصة ويسال السفير الاسرائيلي عن امكانية قيام حوار اسرائيلي - فلسطيني . ثم ان هذه الفقرة في كلمة سارتر حول فلسطين هي التي احتلت موقع البؤرة في الاخبار التي نشرتها الصحف الفرنسية عن قبول سارتر للدكتوراه الاسرائيلية كما فعلت جريدة « الموند » .

لقد قال سارتر بالنص : « ان قبولي لهذه الدرجة العلمية التي اشرف بها له مدلول سياسي ، فهو يعبر عن الصداقة التي احملها لاسرائيل منذ انشائها كما يعبر عن رغبتني في ان ارى هذه الامة (الاسرائيلية) وقد فازت بالامن والسلام ، هذا السلام الذي لا يتحقق في نظري الا اذا بادر الاسرائيليون الى الحوار مع الفلسطينيين . لانني قلق كذلك على مصير الشعب الفلسطيني ، وانا احس اني نصير للفلسطينيين بقدر ما انا نصير للاسرائيليين »

سارتر يعلن بوضوح شديد انه صديق لاسرائيل ونصير لها منذ انشائها ، واقول انا ان هذه العواطف قديمة تعود الى زمن طفولة سارتر ، فجدته لامه يهودي من اعرق العائلات اليهودية في الازراس ، وفي منزل هذا الجد الذي كان مثقفا دخل سارتر لأول مرة عالم الاسئلة الكبرى كما يحدثنا في « الكلمات » . لكن عواطف سارتر اليهودية - والحق يقال - عواطف غير صهيونية . ويتضح هذا من تعريفه لليهودي في « المسألة اليهودية » فاليهودي في نظر سارتر هو من يراه الاخرون يهوديا . اذن فاليهودية هي موقف من غير اليهود مفروض على اليهود ، او هي النزعة المعادية لليهود اكثر مما هي حقيقة موضوعية اصيلة كما يزعم الصهيونيون .

اليهودية في نظر سارتر وجود سلبي ، او هي على حد تعبيره « وعي شقي » ، ومن هنا نفهم طبيعة تأييد سارتر لاسرائيل ، ان سارتر في هذا التأييد يتخذ موقفا

في مواجهة الجماهير العربية ، موقف ذكره لا شك بإيام الاحتلال النازي لفرنسا . لكن سارتر لم يذهب الى النقيض ، وانما اخذ يتحرك ببطء لتعديل موقفه .

صدر اول ما فعل عددا خاصا من مجلة « الازمنة الحديثة » حول مشكلة الشرق الاوسط ، وكان ذلك بعد الحرب بشهور فيله . لكن موقفه في هذا الصدد كان حياديا او بالاحرى سلبيا . فقد خصص نفسه لعدد من الكتاب العرب . وخصص النصف الاخر لعدد من الكتاب الصهيونيين اسرائيليين وغير اسرائيليين ، واكتفى هو وبعض اسباب الفرنسيين بادارة الحوار . وبالرغم من هذا الموقف السلبي ، فقد وجدها بعض العرب الموجودين في فرنسا فرصة سانحة للاتصال بسارتر واطلاعه على تفصيلات القضية الفلسطينية ايمانا منهم بان من الممكن كسب هذا الفكر الكبير ، الذي لا شك في اخلاصه لحرية الانسان ايا كانت طبيعة اجتهاداته ، الى جانب القضية العربية العادلة .

الم يقف سارتر الى جانب الصين وكوبا وفيتنام ؟ بل لقد وقف مع الجزائريين نصف الفرنسيين الذين كانوا يعارضون استقلال الجزائر واصدر كتابه الشهير « عارنا في الجزائر » يدين فيه اجمع الفرنسي ويدافع عن الثورة الجزائرية ؟ فلماذا لا يقف سارتر مع الفلسطينيين ؟ وهل يكون ولاؤه للاسرائيليين وخوفه من غضبهم اكبر من ولائه للفرنسيين وخوفه منهم ؟

في هذه المرحلة ذهب الكاتب المصري المعروف لطفي الحولي الى باريس واجرى معه حوارا حول القضية الفلسطينية نشر في « الاهرام » وفي هذا الحوار بدأ سارتر يعبر عن موقفه الجديد (١٩٦٧) تم ما لبث النظام الاردني ان ضاق ذرعا بالثورة الفلسطينية فاقام لهامذابح سبتمبر (ايلول) الشهيرة عام ١٩٧٠ واخذ الفلسطينيون يتعرضون لخطر الابادة في الاردن بعد اسرائيل . فلماذا لا يعقد سارتر محكمة للملك حسين على غرار المحكمة التي عقدها مع الفيلسوف رسل لمحكمة السفاح الامريكي جونسون قاتل الفيتناميين ؟

كان الذين يتصلون بسارتر وقتها مجموعة من المناضلين العرب فلسطينيين وغير فلسطينيين على راسهم الشهيد محمود الهشري ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في باريس الذي اغتالته المخابرات الاسرائيلية قبل ثلاث سنوات ، والشهيد الشاعر كمال ناصر الذي اغتالته الاسرائيليون في بيروت مع رفاقه من قادة فنج . والمحامي اللبناني جبران مجدلاوي وشاب تونسي يعيش في باريس هو محمد الشابي .

وخلال عدة لقاءات امتدت ساعات طويلة بين هؤلاء

(١٩) اعادت « الاداب » نشر هذا الحوار .

رجلا واحدا وليس اتجاها جامدا . وسارتر « مودة » سان جرمان في اشلاينات ليس سارتر نصير العمال والطلاب في الستينات ، وسارتر خصم الماركسية ليس سارتر نصير الماوية ، وسارتر المنغمس في القضايا الاوربية ليس سارتر الجزائر وكوبا وفيتنام .

في عام ١٩٦٧ زار سارتر مصر . وعن طريق مصر زار قطاع غزة ونفذ معسكرات اللاجئين الفلسطينيين في القطاع ، ولم يعبر وقتها عن قلقه على مصير « الشعب الفلسطيني » كما عبر في كلمته الاخيرة . ولست اذكر انه تحدث في ذلك الوقت عن المشكلة الفلسطينية باعتبارها مشكلة وطنية وسياسية بقدر ما تحدث عن « مشكلة لاجئين » تكفي لتحلها النقود والخيام والدقيق والسكر . ثم ذهب من فوره لاسرائيل حيث افاض هناك في مدح « المعجزة » الاسرائيلية .

فشتان بين سارتر عام ١٩٦٧ وسارتر عام ١٩٧٦ . سارتر الاسرائيلي ربما لم يتغير . لكن سارتر العربي تغير تغيرا واضحا ، وهذه هي مسألتنا . ومن هنا دهشتنا لادانة سارتر الان وادعوة الى مقاطعته الان . ولم يكن سارتر في اي وقت مضى اقل منه الان نأيبيدا لاسرائيل . فلماذا لم يظهر هذه الدعوة لادانته ومقاطعته عام ١٩٦٧ (١٩) ؟ ولماذا تظهر الان وقد بدأ يتحدث عن فله على مصير الشعب الفلسطيني ويقول ان السلام لن يتحقق الا بالحوار مع الفلسطينيين ؟

ان موقف سارتر الاخير هو الجديد وهو الاولي بالتفكير والتقدير ، ومع ذلك فلهذا الموقف سوابق :

- كان سارتر قد قام بزيارته العربية والاسرائيلية قبيل حرب ١٩٦٧ ببضعة شهور . وما لبث نذر الحرب ان بدت في مايو (ايار) ١٩٦٧ فسارع سارتر هو ومجموعة من المثقفين الفرنسيين الاخرين الى اصدار بيان في تأييد اسرائيل ضد العرب . لكن اسرائيل هي التي بدأت بالهجوم واحتلت ما احتلت وقتلت من قتلت ودمرت ما دمرت . فلم يراجع سارتر نفسه ولم يغير موقفه الا بعد ان اشعل النضال الفلسطيني بعد الهزيمة ، هذا النضال الذي امتدت نيرانه الى اوربا . انذاك فحسب بدأ سارتر يعدل موقفه . فنضال الجماهير الفلسطينية هو الذي اضطر سارتر الى ان يعيد صياغة المعادلة القديمة . وان يعدل بالتالي موقفه منها . لم تعد القضية هي قضية اسرائيل الصغيرة المتمدنة في بحر التخلف والرجعية العربية . وانما صارت اسرائيل القوية المنتصرة

(٢٠) تعليق من « الاداب » : صوبيا للوقائع ، نذكر ان رئيس تحرير هذه المجلة ، وربما سواه من الكتاب ، بادر الى ادانة موقف سارتر في تلك الفترة ، وبعثاليه ببرقية استنكار نشرتها بعض الصحف العربية والفرنسية ..

يقول لي الصديق عز الدين قلق ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في باريس : « لقد كنا على علم بأن سارس قد قبل الدكتوراه الفخرية فانصلنا به واتفنا معه على نص الخطاب الذي سيلقيه في حفلة نسلمه لها في السفارة الاسرائيلية في باريس ، وقد انزم فعلا بافاء هذا النص وان لم يدع التلفزيون الفرنسي الا فقرات منه » .

أعود فأقول في النهاية ان سارتر لم يعدل عن صداقته الحميمة لاسرائيل ، لكنه يرفع درجة فوق درجة صوته في تأييد الشعب الفلسطيني . وفي هذا - كما اعتمد - كسب لنا . ربما كان لنا الحق في ان نستصغره بازاء ما يتعرض له وطننا وشعبنا على ايدي انصهيونيين . لكنه بالنسبة لسارتر خطوة واسعة في اتجاه الحق ، خطوة ربما كانت هي الغاية ، فسارتر الان اصبح عجوزا لا يستطيع ان يقدم اكثر مما قدم ولا يستطيع ان يفلت من مواقفه الثابتة اكثر مما افلت ، لكننا نستطيع ان نستثمر موقفه الاخير في الاوساط التي تحترم سارتر . ولن يكون هذا بادانة سارتر ومقاطعته !

باريس

وبين سارتر اقتنع المفكر الفرنسي بعهد المحكمة التي اصبح رئيسها الوحيد بعد وفاد رسل لمحاكمة كل من النظام الاردني والنظام الاسرائيلي على قدم المساواة بتهمة ابادته اشعب الفلسطيني . وبالفعل كتب سارتر خطاب الاستدعاء الى اعضاء المحكمة من معزري العام . واقترح ان نعد جساها في الجزائر او في بيروت اد نان يرى ان الراي العام اوروبي ليس مستعدا لاحتضان محاكمة لاسرائيل ، ونان شرط سارتر الوحيد ان يقدم للمحاكمة في قفص اتهام واحد جولدا مائير والملك حسين . وهكذا بدأ هذا العمل الذي لم يسم للاسف بسبب برقيه عاجسه وصلت اتي محمود اهمشري من فادة المنظمه يطلبون فيها ضرورة الفصل بين المتهمين ويرفضون ان توضع حكومة الاردن وحكومة اسرائيل في قفص اتهام واحد . وهكذا فشل المشروع الذي لو تحقق لغير كثيرا من مواقف سارتر سواء من اسرائيل او من الفلسطينيين . ونحن نذكر قصة هذا المشروع الذي لم ينحقق والذي ما زال بعض شهوده احياء لحسن الحظ اطال الله في اعمارهم ، وباستطاعتنا ان نعرف منهم كثيرا من تفصيلاته - نذكر قصة هذا المشروع لنستدل منها على ان سارتر قد عدل موقفه من القضية الفلسطينية الى حد كبير في حدود امكانياته ووضعه ومعطيات تاريخه .

الفكر العربي

في معركة النهضة

تأليف الدكتور أنور عبدالمك

« هذا الكتاب موجه في المقام الاول الى قطاع محدد من جمهور القراء في العالم العربي ، هو قطاع الجيل الجديد من شبابنا العربي في كل مكان ، شباب الريف والمدن ، شباب الفكر والعمل ، شباب الانتاج والعلم والسلاح . ربما يجد فيه بعض رجال الفكر والعمل من جيلنا - الذي كان « على موعد مع القدر » - اسهاما في نهضتنا الحضارية . نقول « البص » ، اذ ان منهج التنقيب عن مستقبل الفكر العربي في عصر النهضة الحضارية ، وهو المنهج التابع من تفيير الاطار المرني - وهو جوهر عملنا النظري القائم منذ ١٩٥٩ ، والمرتبب ، الا وهو تجديد الفلسفة الاجتماعية على ضوء تفاعل حضارات الشرق والغرب - نقول : ان هذا المنهج وذلك التجديد النظري يمتان على وجه التحديد الى مرحلة الثورة الوطنية التقدمية وغيابها النهضة الحضارية ، وهي مرحلة جديدة حقا على المفاهيم والتقاليد الفكرية الموروثة للاجيال السابقة من حركتنا الوطنية المناقمة في اغلب الاحيان في اجواء ثقافية - فكرية استشراقية ، او اممية ، او سلفية .

وهو كتاب يتصدى للاجابة على سؤال مركزي في تحركنا العربي المعاصر ، الا وهو : كيف يمكن ان نقيم علاقة جذرية ، عضوية ، متصلة ، بين تحركنا الوطني التحرري المتجه الى الثورة الاجتماعية والهدف الاشتراكي من ناحية ، وبين اقامة فلسفة تواكب هذا التحرك الذي فرض نفسه على العالم اجمع ، تكون ، على وجه التحديد ، فلسفة النهضة الحضارية في مصر والعالم العربي ؟ » . - من المقدمة -

التمن . ٨٥ . فرسا لبنانيا

منشورات دار الاباب